مناهجنا التعليمية

بين فلسفة المناهج الاردنية وممارسات الاحتلال الاسرائيلي

بقلم أبو شادي

ان مفهوم المناهج يقتصر على المادة الدراسية في المنهاج الاردني وهو مفهوم لا يزال شبيها على وجه العموم، وهو في مدارسنا غاية في ذاتها، ويقيد الموجهون المعلمين والمعلمات في مسالة اتمام المادة فقط لا غير، مما يدفع هؤلاء الى اتباع اساليب غير تربوية، لا تراعي الفروق الفردية بين التلاميذ. ان المنهاج من وجهة النظر التقليدية يساوي المادة، ويقوم على حشوها في اذهان التلاميذ بالقوة، مع ان المنهاج يجب ان يشمل جميع اوجه النشاط وهو مفهوم متبع في العالم المتقدم، وان لاختلف الاسلوب فقط بين الاقطار الراسمالية والاقطار الاشتراكية، واختلاف الاسلوب يؤدي الى اختلاف النتائج. فعلى سبيل المثال لا الحصر اعطت دراسة للبحث المقارن تمت عام ١٩٦٦ مثلا حيا في هذا المجال عندما توصلت الى ان واحدا من كل عشرة يعمل ويدرس في احدى المدن الامريكية بينما يعمل ويدرس واحد من كل اثنين في احدى المدن السوفيتية مع مراعاة التشابه بين المدينتين. (اسئلة ولجوبة عن الشيوعية، الكتاب الاول ص ١٠٣).

ان المناهج الاردنية تهدف الى تحويل الطالب الى نسخة من الكتب بدلا من ان ياخذ مادتها لاستعمالها في حياته، وفوق ذلك لا تراعي الميل المتعاظم والمتجدد في المعارف الانسانية التي يتضاعف حجمها كل (١٢) سنة، وهي معارف تتطلب سرعة موازية من التطور والتطوير في المناهج، (نفس المصدر) ولكن ما النتائج التي تترتب على ملاحظتنا هذه في الوقت الذي نرى فيه الجزائر في بعض الكتب المدرسية غير مستقلة، وميزان ليبيا التجاري ما زال عاجزا؟؟

في ضوء هذه الحقائق يمكننا ان نفهم السبب الذي يكمن وراء وجود (١٦) مليون طالب في المدارس العربية بين سن (٥ - ٢٤) في الوقت الذي يبلغ تعداد هؤلاء في العالم العربي (٥٦) مليونا، عدا عن ان (٨) ملايين طفل من اصل (١٩) مليون لم يدخلوا المدرسة اطلاقا، (عبدالله عبد الدائم، قضايا عربية، تموز - اب ١٩٧٤ ص ٩٩ - ١١٣)، مع ان المدرسة السوفييتية الثانوية تحتل المرتبة الاولى في العالم بعد ان كانت قبل عام ١٩١٧ نسبة الامية في روسيا ٧٩ بالمئة. (اليقين التعليم الشعبي ص ١٦، ١٣).

واذا ما نظرنا الى المواد الاجتماعية على اعتبار انها اكثر المواد مساهمة في نمو التلاميذ، والمقررة لكل الصفوف والمستويات، فإنها تندرج تحت روح النص القائل "كبر مقتاعند الله ان تقولوا ما لا تفعلوا" فمن حيث النمو الجسمي ، نجدها تؤكد على "التجول في الاماكن العامة المخصصة، توفير الشروط في منزل الاسرة....الخ". مع ان مدارس القرى لا تتوفر فيها مثل هذه الشروط، ولا المتخصصين لتوصيل هذه المفاهيم الى التلاميذ، ولا تتوفر لهؤلاء التلاميذ بيوتا بالمعنى الذي يذكره المنهاج... الذي يؤكد ان التعليم الناجح اساسه التدرج من المحسوس الى المجرد، وطالما ان هذه الامور غير متوفرة في حياة اغلب التلاميذ، فان القاعدة تغدو مقلوبة اي من المجرد الى المجرد مع ما يترتب على ذلك من نتائج لا اول لها ولا اخر، واذا عرفنا ان من قرانا لا يوجد فيها اطلاقا من يتفق وحيثيات المنهاج المذكوره، وما هو متوفر في بعضها هو من التبرعات السخية للسكان الذين يقدمونها على حساب اقواتهم اليومية،

وعدا ذلك لا نلمس في مجال هذا النمو استمرارية في المناهج سوى شذرات عارضة مع ان "وحدة المعرفه ووحدة عناصر الاشياء والثقافة الجماهيرية التي يتربى عليها الشباب ، يجب ان تكون كلا متكاملا في الاطارين النظري والعملي وليس النظري فقط.

اما النمو العلمي للتلاميذ، فعدم مراعاة هذه المناهج له تكمن بالدرجة الاولى في اعتماد المنهاج على حشو المعلومات والمعادلات وسير الافراد الذين تجعل منهم انصاف الهة، وامتلاؤها بالتزييف الفاضح المضلل، مما يعطل التفكير العلمي المنظم والحكم الصحيح، ومع ان المناهج تطالب بذلك (مناهج المرحلة الالزامية ص ٣٨) الا ان مفرداتها تعطي العكس، عندما نرى كتاب البيولوجيا للاول الثانوي يعطي النظرية صفة الثبات، وكتب التاريخ ترد انجازات عصر ما الى فرد، وتهمل بشكل شنيع دور الجماهير الصانعة الحقيقية لتاريخ.

اما النمو الاجتماعي فمع ان المناهج تؤكد على الاتصال العضوي بين البيئة والمدرسة. الا ان ذلك لا نلمس له ادنى اثر وتؤكد على الولاء للجماعة ولكن اي ولاء هذا في مجتمع ياكل فيه الغني الفقير؟؟ ويحكمه قانون وشريعة الغاب.

اما من حيث تاكيد المناهج على شخصيات اثرت في السلوك الاجتماعي (ص ٢٠،١٠٩،٢١٠) فلماذا لا نرى فيها ذكر لشخصيات كان لها لون شعبي جماهيري حتى لا يكون تعليم السلوك الاجتماعي ناقصا او مبتورا وحتى تتم تنمية التلاميذ تنمية اجتماعية سليمة متكاملة، ولماذا هذه معروفة الاجابة عليها سلفا.

واذا ما نظرنا الى النمو الانفعالي عن طريق ممارسة انواع النشاط المختلفة، فالزيارات مثلا لا يستطيعها الا الاغنياء ما لم تدن مجانية، عدا عن ان: اين هي المكتبات المدرسية الحقيقية؟؟.... اين المختبرات.....اين؟؟

ان المكتبات مثلا رغم تعاستها سابقا، فان الاعتقاد سحب منها ما لا يروقه، عدا عن نقصها اصلا لما لم يكن النظام السابق يريد وجوده، وفق هذا وذاك متى ستتحول المكتبات المدرسية الى واقع يمارس فعلا ويسرق سليمه حتى نقول ان هناك شيء اسمه النمو الانفعالي يجب ان يحققه المنهاج؟؟

واذا ما نظرنا الى النمو الخلقي، فمع ان المواد الاجتماعية لها قصب السبق هنا، فان ما بها من مفردات مثل "السيطرة الاستعمارية، وانفصال الشعوب....." مرهون تحقيقه بما يتصلح به المعلم نفسه من وعي، وفرص متاحة تسمح له بتحقيق ذلك.

اننا اذا ما نظرنا الى المناهج، فالتاريخ مثلا تزرع مادته في المجاهد المدرسين مادة [illegible] تنسب اليهم صناعة التاريخ وتنكر ايما انكار دور الجماهير صانعة الحقيقية، عدا عن اغفال مناهجه للتجارب الانسانية الثورية مثل الثوره، الاجتماعية في مصر القديمة والمقاومة الشعبية للحملة الفرنسية وهي مناهج تؤكد على "اعمال ابي جعفر المنصور، وهارون الرشيد، وسليمان القانوني، ونابليون، وفرعون، وعبدالله بن الحسين، والحسين بن طلال.....الخ.

(هذه مأخوذة بالترتيب من: كتب الخامس الابتدائي، السادس الابتدائي، الاول الاعدادي، الثاني الاعدادي، الثالث الثانوي الادبي).

انها مناهج تكون على اقصى ما تكون عندما تذكر تجارب ضد السلطة صانعة المناهج، وتقف الى ضف الجماهير، مثل الهجوم الذي نراه على الماركسية في كتاب دكتور سيف الدين الكيلاني الذي كان مقررا "للثالث الثانوي الادبي حتى عام ١٩٧٠ (ص ١٤٥) مع ان المؤلف يعرف تماما ان الفصال المرير الذي قصده ماركس هو ضد المعتدين على مصالح الشعوب ومستغليها، هذا اذا كان اقتباسه للعبارة عن ماركس قد روعيت فيها الامانة العلمية.

يتبع

الشرفة

قصة : محمد الجمل

كانت تنظر اليهما خلسة، دون ان يلحظها زوجها الجالس بجوارها في شرفة الكاربنو المطلة على البحر، يبهرها ما ترى، يدغدغ حواسها ويبث الدفء في النسيم البارد، يلهب مشاعرا طوتها الايام وبصعوبة بالغة تعيد بهسرها لتنظر الى الجالس بجوارها في صمت، ترتبه وهو يقلب اوراق الصحيفة في استغراق مدهش، يقبض على الكلمات الصغيرة كأنه في وليمة، وتارة يطلو له ان يراجع المانشيتات، ربما ليتاكد من ثبوت العلاقة بينها وبين كلماتها الصغيرة.....

وتعود وتشرد، ينهذب نظرها نحو القارب، مستغرقة تماما في تأمل المشهد، لا يزعجها غيابه في هذه اللحظة.

كانت تستعذب وحدتها بعد ان لفتني راسه تماما دلفل طيات الصحيفة، تتأمل الشاب والفتاة... متجاورين فوق الكرسي، يمسك كلاهما بمجداف، ضربات منتظمة متساوية، حتى ان القارب يسير في خط مستقيم، وما يلبث ان يدور نصف دائرة كأنها صنعت بفرجار، وسرعان ما يستقيم المسار من جديد، وتصافح الوجهان، فتلتقي العيون، عيون مبتهجة راضية، وتفتر الشفاة عن بسمة مترعة بالحب، فتلمع الاسنان في ضوء الشمس، وتتضاعف المتعة فتهتز الصدور بضحكة من القلب، ضحكة رائقة بلون الزبد، لم تشبها بعد عوالق.

ويلتقي الوجهان بصفحة السماء، ويعود هو بنظرة سريعة الى صفحة الماء، يضبط المسار، يتأمل عنقها الطويل الدقيق، يلثمه بقبلة، فيرتعد جسدها وتنحنى من جديد فوق المجداف، ويعتريها خجل بريء.

وتبدأ لعبة التمرد تضرب بمجدافها ضربات اسرع، يدور القارب حول نفسه، يحاول هو ضبط المسار، تضرب هي ضرباتها في الاتجاه العكسي، يختل توازن القارب، ترتمي فوق صدره، يترك المجداف ويحتويها، تحاول الافلات منه، يسارع للامساك بالمجداف فينشر رذاذ الماء فوق وجهيهما، تمتزج الضحكات ويختلط رنينها بالنشوة، ويعود القارب الى خطه المستقيم.

اناملت على نفسها وهي تبتسم، تأملت كفها لتتثبت من انه لا يتبض على مجداف، مسحت وجهها كان عليه رذاذ، ندت عنها نظرة مفاجئة الى زوجها. تذكرت انها تجلس في الشرفة، وان اليوم يوم العطلة الاسبوعية، كانت تتامل حاجز الورق، وذلك الرأس المحسوس بعناية، وتلك الصلعة التي تلمع تحت وهج الشمس، وذاك الصمت الموحش، المجدب.

طبق الصحيفة بعصبية واكتسى وجهه بوقار مهيب ونفخ في ضيق وهو يقول

– حان الوقت للعودة الى الاولاد.

نهضت وهي تتذكر ما قاله لها وهما يغادران المنزل في الصباح "هيا بنا... للفرح وقتا طويلا".

ندوة أدبية

بمناسبة الخامس من حزيران

جرى في ٥.٦ بنادي الاخوة في حيفا لقاء ثقافي مبناسبة مرور احد عشر عاما على حرب حزيران وشارك فيه كل من الناقد محمد البطراوي والشاعر علي الخليلي والفنان كريم دباح. وقد قدم الشاعر سميح القاسم الضيوف للجمهور ومهد الندوة بكلمة حول مناسبة هذا اللقاء..

وقد تطرق الناقد محمد البطراوي في حديثه للحركة الثقافية قبل عام ٤٨ وقال:

"لقد كانت الحركة الثقافية عموما ذات اتجاهين: الاول اتجاه الطبقة الوسطى والطبقة الاقطاعية، ثم الاتجاه الثاني المتمثل في الثقافة العمالية التي كان لها دور قبل عام ٤٨ واستمرت بعد ذلك حتى عام ٦٧.

"وقد لعبت الحركة العمالية التي تبلورت من خلال عصبة التحرر الوطني وجريدة الاتحاد ومجلة الغد... وارتبطت بالعصبة ومنشوراتها اتحادات العمال والطلاب والفلاحين.. وكان الفضل للعصبة في تعريف القارىء على الادب التقدمي الانساني.... وعلى صفحات الاتحاد ظهرت اسماء مثل الاديب القاصص المرحوم واميل وغيرهم...

"وبعد عام ٤٨ وما تلاها من احداث ادى الى توزيع سياسي جديد، فقدت الحركة العمالية شكلها التنظيمي الامر الذي ترك اثارا سلبية على الحركة الادبية والفنية في بلادنا ،

"وبعد ذلك ظهرت بالضفة الغربية مجلة "الافق الجديد" وعلى صفحاتها لمعت اسماء مثل محمود شقير وصبحي شحروري وماجد ابو غزار وخليل السواحري وغيرهم... وبدأت الحركة الثقافية تنتعش بالقدر الذي سمحت به ملابسات الحكم الاردني... ولم يختلف الحال بالنسبة لغزة والقطاع حيث اخلقت النوادي والنقابات ومنحت الصحافة الحرة.... ولم تصدر حينئذ سوى جريدة "غزة" التي كانت تنقل اخبار السلطة فقط.

ثم قدم الشاعر سميح القاسم زميله الشاعر علي الخليلي منوها بجهوده في مجال البحث عن التراث وقال الشاعر علي الخليلي:

"برز الاهتمام بالادب الشعبي مع ظهور الحركة الرومانسية اي مع اليقظة القومية واستطاعت اوروبا ان تتقدم بعدا وافية في هذا المجال ويقال ان السويد لعبت دور الريادة...

ولقد اهتمت الحركة الرومانسية بالفولكلور واتجهت نحو الريف واهملت العمال- وجمعت الرومانسية امثال واقوال وعادات الفلاح واصدرتها في كتب... وسارت مصر وسوريا على هذا المنوال، اما في فلسطين فلم تكن هناك دراسات فولكلورية حتى على المستوى الرومانسي... ولكن بعد عام ٦٧ بدأت بعض الكتابات بالاتجاه نحو جمع الفولكلور - لتاكيد شخصية الشعب.... فمنذ عام ٤٨ ولجه الانسان عالم الخارج وظهرت الضرورة لاثبات الذات عن طريق الفولكلور بالاضافة لاخذ اخرى... ولقد منع النظام الهاشمي بكل الوسائل ظهور الشخصية الفلسطينية وكان حكم من يقول انه فلسطيني النفي مدة شهور في معتقل الجفر الصحراوي...

الى ان كان عام ٦٧، فبدأت بعض الجهود الفردية للبحث عن التراث الشعبي بشقيه الشفاهي والكتابي والفنان ان ادواته بحاجة للتجديد ليواكب بشكل مواز المتطلبات الجديدة على الساحة... وظهرت الصحافة بعد مرور سنة على الاحتلال" اما اصحاب الصحافة التقليدية فلم يكونوا معنيين بالثقافة والادب.

"ولا بد من القول ان الاديب لا يعدم وسيلة لايصال رأيه للناس... وقد شكل مكتب صلاح الدين بالقدس خطوة رائدة في مجال النشر.

"ومع ذلك فان حركة النشر الان تعاني من عقبات كثيره منها الانقطاع عن العالم العربي، وضيق المجال للنشر في الصحافة المحلية.... يضاف الى ان بعض الصحف تتجه للاسلوب التجاري في العمل الصحفي، ثم هناك افتقار الكتاب والادباء بالصفة والقطاع لاتحاد يجمع شملهم وهمالك كذلك رحيل العدد الكبير من الادباء والمثقفين عن البلاد.

"وما تزال كتابات كثيرة جيدة لم تر النور حتى الان

"لقد استسلم جمهورنا وادباؤنا، وما يزالان ، الانتاج التقدمي في مجال الادب والفن باسماء مثل سميح القاسم ومحمود درويش وتوفيق زياد اصبحت مثلا للادباء وللناس بالصفة والقطاع. وان من قصص محمود شقير التي كانت اطلالة جيدة في مجال الخلق الادبي، يمكن ان ياخذ فكرة عن الانتاج الفكري والادبي في الضفة